المحاضرة الثالثة والرابعة: الأجناس الأدبية / الأشكال الإبداعية في الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية

1- **الرواية:**

بالرغم من المحاولات الأولى في التأليف الروائي باللغة العربية في الجزائر مع رضا حوحو "غادة أم القرى"، وعبد المجيد الشافعي " الطالب المنكوب "، إلا أن الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي، على يد كوكبة من الروائيين الجزائريين الذين تعلموا في المدرسة الفرنسية، وحصلوا على نصيب وافر من الثقافة الفرنسية دون أن يفقدوا إحساسهم المرهف بنبض مجتمعهم. ومن بين هذه الروايات نجد: نجل الفقير 1950، الأرض والدم سنة 1953الدروب الوعرة 1957وهي روايات للكاتب الجزائري مولود فرعون.

تتناول رواية نجل الفقير حياة الفلاح الذي يكدح بسواعده دون أن يحصل على أدنى مقابل للحياة الكريمة، نظرا لاستيلاء الغزاة على أرضه، ثم تأتي الأرض والدم لتحوز جائزة الادب الشعبي في فرنسا ثم ثالث رواياته وهي الدروب الوعرة والتي تتناول النواحي الاجتماعية والعقائدية. إلى جانب إنتاج مولود فرعون، ظهر في نفس الفترة إبداع مولود معمري ممثلا في الربوة المنسية " سنة. 1952تتناول الوقع القبائلي في صراحة مع المستعمر الفرنسي ثم روايته الثانية " نوم العادل" سنة 1956ليكشف عن الوطنية والثورة واحتضان الشعب لها ثم تليها الرواية الثالثة "الأفيون والعصا " سنة 1956بعد الاستقلال.

وتكمن القيمة الرفيعة لأعماله الأدبية والفنية في أن أدبه تكريس لحرية الجنس البشري والدعوة لسعادته، والنضال ضد كل ما يعذب الإنسان ويشوه روحه ومقاومة استغلال لأخيه الإنسان. الدار الكبيرة، الحريق، النول ... وهي ثلاثية لمحمد ديب وقد تناول الكاتب في الروايات الواقع الاجتماعي، بعادات وتقاليد سكانه في الدار الكبيرة.

رصيف الأزهار لم يعد يجيب1961 رواية لمالك حداد عربية السمات، فرنسية اللغة بطلها خالد بن طوبال الذي انقسم على نفسه بين عشيقته الفرنسية وزوجته العربية.

غير أن النزعة الوطنية تتغلب لكن بعد قوات الأوان. وللكاتب حداد إبداع ثري في هذا الموضوع من مجموعة من الروايات منها: نجمة 1956الانطباع الأخير 1958، سأهبك غزالة، 1959والتلميذ والدرس 1960وغيرها.

2- الشعر:

لقد كانت نشأة الشعر الجزائري باللسان الفرنسي مصاحبة لظهور الأدب الفرانكفوني، و**هذا** بفعل الاحتلال وسياسته الشاملة في البلد. ذلك أن السلطة الاستعمارية أدركت أن توطيد أركان وجودها في الجزائر مرهون باستهداف السكان جسدا وروحا.

وإذا دققنا في تتبع مراحل ظهور نصوصه، يمكن أن نقسمها إلى مراحل، وهي:

أ. **مرحلة ما بين الحربين العالميتين:** لم يكن هناك شعر بالمعني الدقيق للكلمة، بل كانت **هناك** محاولات بسيطة أو إرهاصات لقرض الشعر بالفرنسية رغم انتشار التعليم. منذ أواخر القرن19م ، ورغم وجود عدد من الجزائريين الذين درسوا الطب والأدب و القانون الفرنسي، فإننا لا نعلم أنهم أنتجوا شعرا بالفرنسية قبل الأربعينيات إلا نادرا.

وقد نفى أبو القاسم سعد الله "تأثر الأدباء الجزائريين بالشعر الفرنسي في **هذه** المرحلة، رغم وجود إشارات تدل على أن بعضهم قد تأثر خاصة في مجال الترجمة. فقد ترجم العديد من الأدباء لشعراء فرنسيين، منهم أحمد رضا حوحو؛ حينما كان في الحجاز. فد ترجم لفيكتور هيجو، ولم يكن شاعرا. أما في بداية الأربعينيات فقد قام إسماعيل العربي بترجمة بعض القصائد الفرنسية إلى العربية، ولكنه لم يكن شاعرا أيضا. ومنه، فإن **هذه** لمرحلة غلبت عليها طابع الترجمة التي كان لها الدور الأكبر في التأثر بالآداب الفرنسية.

ب. **مرحلة ما بين 1945إلى 1962:** لقد جاءت هذه المرحلة عقب المأساة الوطنية في الثامن من ماي وما خلفته في قلوب الجزائريين من ألم وشعور بالقهر والظلم، فشكلت منعطفا حاسما في اتجاه الكفاح ومساره وأدواته. فلقد أحدثت هذه مجازر جرحا عميقا في وجدان الجزائريين، خاصة وقد صادفت نهاية للحرب العالمية الثانية التي قررت مصير الكثير من البلدان والشعوب. وبفعل ذلك فقد تبلور الوعي الوطني لما يحدث في العالم لدى جميع فئات المجتمع في السعي نحو الاستقلال. وكان **هذا** الوعي راسخا بعد اليوم في الدفاع عن الجزائر بمختلف الوسائل المتاحة عسكريا وسياسيا وفكريا. الشيء الذي شجع على تنشيط الحركات السياسية في الداخل والخارج.

وليس غريبا أن يكون صوت القلم هو أيضا حاضرا في مختلف المنابر والمجلات والجرائد التي كانت تنشط هذا المسعى الجديد بنشر إبداعات الأدباء سواء شعرا أو نثر. وهنا ظهرت العديد من الدواوين الشعرية باللغة الفرنسية، خاصة مع اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954وأثنائها. "فقد ولدت ثورة التحرير الوطني تصورا فرض أشكالا شعرية جعلت من الشعر الفرنكفوني الجزائري شعرا مكافحا وليس تأمليا أو ذاتيا، وأضفى عليه هاجسه المتفائل ونزعته

الإنسانية النشطة. ومن أهم الدواوين الشعرية التي نشرت سنة 1956 ديوان مالك حداد بعنوان الشقاء في خطر le malheur en danger.

3- المسرح:

شكلت النصوص المسرحية المكتوبة بالفرنسية في الفترة ما بين نهاية الحرب العالمية الثانية 1945والاستقلال الوطني 1962رافدا إبداعيا اغتنى به رصيد الفن السابع الجزائري إن على صعيد الموضوعات المطروقة أو أسلوب التناول أو الرؤية الفنية في اتساق مباشر مع الظرف التاريخي والسياسي والثقافي السائد في الجزائر آنئذ. وهو العامل الذي جعل جل المسرحيات التي ظهرت في **هذه** الفترة تنحو بدورها في الاتجاه الثوري، وأهمها تلك التي قدمها " كاتب ياسين " مثل مسرحية " الجثة المطوقة " و " الأجداد يزدادون ضراوة" التي عرضت على خشبة المسرح أثناء الثورة التحريرية في "بروكسل "، ثم نشرت مع نصوص أخرى بعنوان " دائرة الانتقام/ أو القصاص سنة " 1959. وهو المنحى الذي حمل كاتب ياسين لواءه بكل جدارة واستحقاق، وبلغ معه مستوى عالميا. والواقع أن كاتب ياسين في مسعاه الإبداعي، بدا معززا برصيد ثري يستمده من تجارب ثقافته الفرنسية العالية في المجال الإبداعي الأدبي والمسرحي بوجه خاص. بما يعني تلك الثقافة لم تقف حائلا بينه وبين إبراز روحه الجزائرية وثقافته العربية، روح شعب يتمسك بمقوماته الروحية وطابعه الأصيل. فمسرحياته كلها يضمها موضوع واحد بتجليات متنوعة، ألا وهو " الجزائر" التي تبحث عن نفسها من خلال نضال مستميت. و**هو** ما تجسده أعمال "الأسلاف يزدادون ضراوة" و " الجثة المطوقة " ، و"المرأة المتوحشة. " وبالإضافة إلى **هذه** الأعمال لكاتب ياسين، و**هناك** أعمال لكتاب آخرين لقيت صدى أقل، مثل مسرحية " أصوات في القصبة"، 1960لحسين بوزاهر، ومسرحية " الميلاد " و " الزيتونة1962 " لمحمد بوديا.. وغير**ها**.

4- القصة القصيرة:

القصة المكتوبة باللغة الفرنسية قد تعذر انتاجها قبل الاستقلال، ولم يتجاوز عددها الستين قصة، وقد عالجت في بدايتها موضوعات اجتماعية مثلها كل من مالك واري في قصصه " لقاء الربيع " و " حصاد والجبال" و " حمزة بوبكر "" بقصته " اعترفات مسلم القرن الحالي " ، وبعد الخمسينات بدأت تهتم بالوضع السياسي ، ومثلها كل من ديب بمجموعته القصصية " في المقهى ومولود معمري في قصته" الحمار الوحشي " التي عالج فيها قضية صدام الحضارات عن الحرب العالمية. وقد أأظهرت القصة القصيرة المكتوبة باللغة الفرنسية بعض التفوق على ننظيرتها العربية، إلا أنها لم تخصص لجانب الحرب النصيب الأوفى.

ففي قصة محمد ديب " في المقهى" ، 1955مثلا تقابل فيها العديد من شخصيات ثلاثيته الروائية مثل " عمر " و" العمة حسناء " و " ابنة العم الصغيرة " ، حيث يقدم محمد ديب إضافات جديدة، يتعلق بعضها بأحداث قد

أشار إليها في الثلاثية إشارات سريعة فقط كزواج " ابنة العم الصغيرة"؛ الموضوع الذي يخصه بقصة مستقلة **هي** قصة" زواج بديع " ، إشارة إلى التطور الذي حدث في حياة الأبطال أو في وعيهم.